باب ما أوله كاف

٢٢٠- كائناً مَنْ كانَ- كائناً ما كان

شاع هذا الأسلوبُ في اللُّغَةِ العربيةِ مُنْذُ القديمِ، وهو من الأساليبِ الأدبيةِ في لُغَةِ العَرَبِ.

تقولُ: (لأَضْرِبَنَّهُ كائناً ما كان) و(سَنُضَحّي في سبيلِ الوطنِ كائناً ما كان) و (سنردُّ كَيْدَ الطامعِ كائناً مَنْ كان) أو (كائناً ما كان) والتركيبان الأخيران الأول فيهما كالثاني إلا أنّ (ما) في الأول نكرةٌ موصوفةٌ لغيرِ العاقلِ، و(من) في الثاني نكرة موصوفة للعاقل.

أجزاؤه:

يتكوَّنُ هذا التركيبُ من ثلاثةِ أجزاءٍ (كائناً) و(مَنْ) أو (ما) النكرة الموصوفة و (كانَ) الفعل، ولكلّ إعرابُه:

١- كائناً: اسم فاعل مشتقٌّ:

- إمّا من (كان) التامَّةِ، ويكون فاعلُه المصدرَ المؤولَ على جَعْلِ (ما) بعده مصدريةً والتقديرُ: كائناً كَوْنُهُ.

- وإمّا مِنْ (كان) الناقصةِ الناسخةِ، ويكون اسمُها ضميراً مستتراً فيها، ويعود على صاحبِ الحالِ مِنْ (كائناً).

وإعراب (كائناً) على الوجهين حالٌ منصوبةٌ.

٢- (ما) ولها في الإعراب وجوه:

الأول: أنها حرفٌ مصدريٌّ مع وجودِ التمامِ في (كائناً) و(كان).

الثاني: أنَّها موصولةٌ إذا استعملتْ لمن يعقلُ كاستعمال (ما) في (لاسيَّما) وعليه، فتكون في محل نصبٍ خبراً لاسم الفاعل (كائناً).

الثالث: يجوزُ جَعْلُ (ما) نكرةً موصوفةً بـ (كانَ) وهي تامَّةٌ، والتقدير في المثال الأول: لأضربَنَّهُ كائناً شيئاً وُجِدَ. والمعنى لأَضربَنَّهُ كائناً بصفة الوجودِ من غَيْرِ نَظَرٍ إلى حالٍ دون حالٍ، مفرَداً كان أو مركباً، كلاًّ أوْجُزْءاً.

ولعلَّ هذا الوجهَ أقربُ إلى الأَخْذِ به، وأَوْلَى مِنْ سواهُ.

الرابع: أن تكون (ما) صلةً للتوكيد و(كائناً) و (كانَ) تامتين، والمعنى: لأَضْرِبَنَّهُ موجوداً وُجِدَ، أي شخصٍ وُجِدَ صغيراً أو كبيراً، عظيماً أوْ حقيراً.

الخامس: تكون (ما) فيه اسماً نكرةً صفةً (كائناً) أو أنّها بَدَلٌ منه، فإذا قلتَ: لأَضْرِبَنَّ رجلاً كائناً ما كان، كان المعنى: لأَضْرِبَنَّ رجلاً موجوداً، شخصاً وجد.

والمعنى على التعميم كالأولِ. أيْ أيَّ شخصٍ[1].

٣- كان: صِلَةُ (ما) المصدرية، ولها وجهانِ:

الأول: أن تكون تامةً، وتُوَوَّلُ معَ (ما) بمصدرٍ في محلِّ رفعٍ فاعلاً لـ (كائناً)

---

(١) ينظر: رسائل ابن عابدين: ١/ ٣٤٠ والنحو الوافي: ١/ ٥٥١ ومعجم شوارد النحو: ١٢٧-١٢٨.

اسم الفاعل المشتق من (كان) التامّة. والجملة من (كان) وفاعلها المستتر صفةُ (ما).

وهي في محلِّ نصبٍ، والتقديرُ: سأضْرِبُه كائناً شيئاً أو إنساناً كان.

الثاني: أن تكون (كان) ناقصةً ناسخة، وفيها ضمير مستتر هو اسمُها، يعودُ على (ما).

أمّا خَبَرُها فمحذوفٌ والتقديرُ: كائِناً الشخصُ الذي هو إيّاه.

* * *

٢٢١- كانَتْ بِهِ اليدانِ

قال الصاغانيُّ[١] وابنُ منظورٍ[٢]: تقول العَرَبُ: (كانَتْ به اليدانِ)، أي فَعَلَ اللهُ به ما يقولُه لي.

هذا الأسلوبُ من أساليبِ العَرَبِ في الدعاءِ على الرَّجُلِ بأنْ يقعَ في سوءِ ما يتمنّاهُ لِغَيْرِهِ، وهو من أساليبِهم القديمةِ.

يُقال: إنّ قَوْماً من الشُّراةِ[٣] مرُّوا بقومٍ منْ أصحابِ عليٍّ رضيَ اللَّهُ عنه، وهم يدعون عليهم، فقالوا: بِكُمُ اليَدانِ، أي حاربَكُم ما تدعون بهِ، أي رَجَعَ ووَقَعَ بكم.

الإعراب: (بكم) جارٌّ وضمير في محلِّ جرٍّ والميمُ حَرْفٌ لجمعِ الذكورِ، لا محلَّ لَهُ. والجارُّ والمجرورُ في محلِّ الخبر المقدَّمِ. (اليدان): مبتدأ مؤخر. والجملة الإسمية خرجتْ إلى معنى الدعاءِ. وقَوْلُ العَرَبِ: (كانت به اليدان) كان: تَامّةٌ واليدان فاعل. ويمكن عدّ (كان) ناقصةً و (اليدانِ) اسمها.

* * *

(١) التكملة للصاغاني: (يدا): ٦/ ٥٤٠.

(٢) اللسان: يدي.

(٣) الشُّراة: فرقة من فرق الخوارج، وهم من الذين خرجوا عَلَى عليٍّ كرّم اللهُ وجهَهُ.

٢٢٢ - كَذَبَ عَلَيْكَ الأَمْرُ

أسلوبٌ عربيٌّ رصينٌ عريقٌ، عَرَفَهُ الجاهليون، وَوَرَدَ في الحديثِ الشريف، وهو من أساليبِ الإغراءِ والترغيبِ في الشَّيْءِ.

قال عنترةُ العبسيُّ:

كَـذَبَ العـتـيقَ ومـاءَ شَنٍّ بارِدٍ إنْ كنتِ سائلتي غَبُوقاً فاذهبي

يخاطب الشاعر زَوْجَهُ، فيقول لها: عليك بأكلِ العتيق وهو التمرُ اليابسُ، واشربي الماءَ الباردَ، ولا تتعرَّضي لغبوقِ اللبنِ، وهو شربُهُ عشيّاً، لأنّ اللبَنَ خَصَصْتُ به مُهْري الذي أنتفعُ بهِ ويُسَلِّمُني وإياكِ من أعدائي.

وفي حديثِ عُمَرَ: «شكا إليه عَمْرُو بن معدِ يكَرِب، أو غَيْرُه النِّقْرِسَ، فقال: كَذَبَتْكَ الظهائرَ، أي عليك بالمَشْيِ فيها»[١].

والظهائرُ جَمْعُ ظَهِيرة، وهي شدَّةُ الحرِّ. وفي روايةٍ: كَذَبَ عَلَيْكَ الظواهرُ، جَمْعُ ظاهرة، وهي ما ظَهَرَ من الأرض وارتفع[٢].

وفي حديثٍ آخَرَ أنَّ عمْرَو بنَ معد يكرب شكا إليه المَعَصَ، فقال: «كَذَبَ عليكَ العَسَلَ» يريد العَسَلانَ، وهو مَشْيُ الذئبِ[٣]. أي عليكَ بسرعةِ المَشْيِ.

والمَعَصُ التواءٌ في عَصَبِ الرجل.

---

(١) الفائق: ٣/ ٢٥٠.

(٢) اللسان: كذب.

(٣) الفائق: ٣/ ٢٥٠ واللسان: كذب.

وفي حديث عليٍّ رضي اللَّهُ عنه: «كَذَبَتْكَ الحارقةٌ»[1] أي عليك بمثْلِها، والحارقةُ: المرأةُ التي تغلبها شهوتُها.

وفي حديث عمَر رضي اللّهُ عنه: «كَذَبَ عليكمُ الحجُّ، كَذَبَ عليكمُ العُمْرَةُ، كَذَبَ عليكم الجهادُ، ثلاثةُ أسفارٍ كذبْنَ عليكم»[2].

قال ابنُ السِّكِّيت: كأنّ (كَذَبْنَ) ههنا إغراءٌ، أي عليكم بهذه الأشياءِ الثلاثةِ.

معنى الأسلوب واستعماله

قال الزَّمَخْشَرِيُّ: هذه كَلِمَةٌ مشكلةٌ قد اضطربتْ فيها الأقاويلُ، حتىّ قال بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَة: أظنُّها من الكلام الذي دَرَجَ أهلُه، ومنْ كان يعلمُه، وأنا لا أذكر من ذلك إلاّ قولَ مَنْ هجِّيراهُ التحقيقُ[3].

وفي اللسان: قَولُهم (كَذَب عليكَ كذا) معناه الإغراء، أي عليك بكذا، وقيل: معناهُ الحثُّ والحَضُّ[4].

وقال الزمخشريُّ: معنى (كَذَبَ عليكم الحجُّ) على كلامين:

- كأنّه قال: كَذَبَ الحجُّ، عليك الحجُّ، أي لِيُرَغِّبْكَ الحجُّ، أي أنّه واجبٌ عليك، فأضمَر الأولَ لدلالةِ الثاني عليه وهذا التفسيرُ على الأخذِ بوَجْهِ الرَّفْعِ في (الحجّ).

---

(١) اللسان: كذب.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الفائق للزمخشري: ٣/ ٢٥٠.

(٤) اللسان: كذب.

- وعلى الوَجْهِ الثاني بنَصْبِ الحَجِّ، يكون (عليك) اسمَ فِعْلٍ، وفي (كَذَبَ) ضميرُ الحَجِّ[1].

و (كَذَبَ عليك كذا) كلمةٌ نادِرَةٌ، جاءت على غَيْرِ القِياسِ.

وقيل: كَذَبَ عليكم الحجُّ، أي وَجَبَ عليكم الحجُّ، وهو في الأصلِ إنّما هو إنْ قيل: لا حَجَّ، فهو كذبٌ.

وقال النضر بنُ شُمَيْلٍ: كَذَبَكَ الحجُّ، أي أمكنَكَ، فَحُجَّ، وكَذَبَكَ الصَّيْدُ، أيْ أمكنَكَ فارْمِهِ. قال ورَفْعُ (الحجِّ) و(كَذَبَ) معناه نَصْبٌ، لأنّه يريدُ أنْ يأمرَ بالحجِّ.

وقال الأصمعيُّ: معنى (كَذَبَ عليكم) معنى الإغراءِ، أي عليكم به، وكأنّ الأَصْلَ في هذا أنْ يكونَ نَصْباً، ولكنّه جاء عنهم بالرَّفْعِ شاذّاً على غَيْرِ قياسٍ، وممّا يُحقِّقُ ذلكَ أنَّه مرفوعٌ، قولُ الشاعر:

كَذَبْتُ عليك لا تزالُ تَقُوفُنِي ... كما قافَ آثارَ الوسيقةِ قائفُ

أراد عليك بي، فجعل نفسه في موضع رفعٍ، ألا تراهُ قد جاء بالتاء، فجعلها اسمَهُ، وقال معقّر بن حمار البارقيّ:

وذبيانيةٍ أَوْصَتْ بَنِيها ... بأنْ كَذَبَ القَراطِفُ والقُطوفُ

القراطِفُ: أكسيةٌ حُمْرٌ، وهذه امرأةٌ كان لها بنونَ يركبون في شارةٍ حسنةٍ، وهم فقراءُ لا يملكون وراءَ ذلك شيئاً، فساءَ ذلك أمَّهم، لأنّها رأتهم فقراءَ، فقالتْ: كَذَبَ القراطِفُ، أي أنّ زينتهم هذه كاذبةٌ ليس وراءَها عندهم شَيْءٌ.

---

(١) الفائق للزمخشري: ٣/ ٢٥٠.

وقال ابنُ السِّكِّيتِ: تقولُ للرجلِ إذا أمرْتَهُ بشيء وأغريْتَهُ: كَذَبَ عليكَ كذا وكذا، أي عليكَ به، وهي كَلِمَةٌ نادرةٌ، قال: وأنشدَني ابنُ الأعرابيِّ لخَداشِ بنِ زُهَيْرٍ:

كَذَبْتُ عليكم أوعدوني وعلِّلوا

بيَ الأرضَ والأقوامَ قِرْدانَ مَوْظِبِ

أيْ عليكم بي وبهجائي إذا كنتُم في سَفَرٍ، واقطعُوا بذكريَ الأرضَ، وأنشدوا القَوْمَ هِجائي يا قِرْدانَ مَوْظِبٍ.

وقال أبو عُبَيْدٍ: ولم أسمعْ في هذا حرفاً منصوباً إلا في شيءٍ كان أبو عبيدة يحكيهِ عن أعرابيِ نَظَرَ إلى ناقةٍ نِضْوٍ لرجلٍ، فقال: كَذَبَ عليكَ البَزْرَ والنَّوَى.

قال الزمخشريُّ: قال أبو عليٍّ: فأمّا مَنْ نَصَبَ البَزْرَ فإنّ (عليكَ) فيه لا يتعلّقُ بـ (كَذَبَ)، ولكنّه يكون اسمَ فعلٍ، وفيه ضميرُ المخاطبِ، وأمّا (كَذَبَ) ففيه ضميرُ الفاعلِ، كأنّه قال: كَذَبَ السِّمَنُ، أي انتَفَى من بعيرِكَ، فأوْجِدْهُ بالبَزْرِ والنَّوَى، فهما مفعولا (عليك)، وأَضْمَرَ السِّمَنَ لدلالةِ الحالِ عليه[1].

وقال: وعندي قولٌ هو القَوْلُ، وهو أنَّها كَلِمَةٌ جَرَتْ مجرى المَثَلِ في كلامِهم، ولذلك لم تُصَرَّفْ ولزِمتْ طريقةً واحدةً في كونِها فِعْلاً ماضياً معلّقاً بالمخاطب ليس إلاّ، وهي في معنى الأَمْرِ، كقولهم في الدعاءِ: رَحِمَكَ اللَّهُ، والمراد بالكَذِبِ الترغيبُ والبَعْثُ، من قَوْلِ العَرَبِ: كَذَبَتْهُ نَفْسُهُ إذا منَّتْهُ الأمانيَ وخيَّلَتْ إليه من

(١) الفائق: ٣/ ٢٥١.

الآمال ما لا يكادُ يكونُ[1].

وقد يلحقُ الفِعْلَ (كَذَبَ) ضميرُ الفاعلِ وضميرُ المفعولِ، فيقال: (كَذَباكَ).

جاء في الحديث: « الحِجامَةُ على الرِّيقِ فيها شفاءٌ وبَرَكةٌ، وتزيدُ في العَقْلِ، وفي الحِفْظِ، فمنِ احتجمَ فيومُ الأَحَدِ والخميسِ، كَذَباكَ، أوْ يَوْمُ الاثنين والثلاثاءِ... »[2].

قال الزمخشريُّ: كَذَباكَ، أي عليك بهما[3].

وقال ابنُ منظورٍ: معنى قولِهِ: (كَذَباكَ) أي لِتكْذِبَاكَ، ولْيُنَشِّطاكَ ويبعثاكَ على الفِعْلِ[4].

* * *

(١) الفائق: ٣/ ٢٥٢.

(٢) الفائق: ٣/ ٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) اللسان: كذب.

٢٢٣- كَرَماً وصَلَفاً !!

أسلوبٌ من أساليبِ التَّعَجُّبِ القديمةِ عِنْدَ العَرَبِ، ذكرهَ ابنُ سيده ونقلَه عنه أَهْلُ اللُّغَةِ في قَوْلٍ لعالم العربيةِ الأكبرِ سيبويه .

قال ابنُ سيده: قال سيبويه: ومِمَّا جاءَ من المصادرِ المنصوبةِ على إضمارِ الفِعْلِ المتروكِ إظهارُهُ، ولكنَّه في معنى التعجبِ قولُكَ: «كَرَماً وصَلَفاً» كأنّه يقول: أكرمكَ اللَّهُ، وأدام لكَ كرماً، ولكنهم خَزَلُوا الفِعْلَ هنا، لأنه صارَ بَدَلاً من قولِكَ: أَكْرِمْ به وأَصْلِفْ[1].

ونصبُوا (كَرَماً) لكونه مصدراً لفعلٍ محذوف، فهو مفعولٌ مطلَقٌ، ونُصِبَ (صَلَفاً) عَطْفاً عليه. ويجوزُ جَعْلُ الاسمِ (كَرَماً) منصوباً بفعلٍ محذوفٍ تقديرُهُ: أدامَ لَكَ كَرَماً.

* * *

(١) اللسان: كرم وانظر كتاب سيبويه: ١/٣٢٨.

٢٢٤- كَلاَ: أي مثل (لا)

من أساليبِ العَرَبِ في تقليلِ مدَّةِ فِعْلٍ من الأفعال، أو ظهورِ شَيْءٍ خفيٍّ أنْ يقولوا: كانَ فعْلُه كَلاَ، أيْ مثْلَ (لا).

ذَكَرَ ذلك أَهْلُ اللُّغَةِ وذكرُوا له بَعْضَ الشواهدِ منْ شِعْرِ العَرَبِ. قال ذو الرِّمَّة:[١]

أصابَ خَصَاصةً فَبَدا كَليلاً ... كَلاَ، وانغَلَّ سائرُهُ انْغِلاَلا

وقال الكُمَيْتُ بنُ زَيْدٍ الأسديُّ:[٢]

كَلاَ، وكذا تغميضةً، ثمّ هِجْتُمُ

لَدَى حينَ أنْ كانُوا إلى النَّوْمِ أفْقَرا

يقولُ الكُمَيتْ: كان نومُهم في القِلَّةِ كقولِ القائلِ (لا) و(ذا).

وربّما كرّروا (لا) مبالغةً في تقليل ذلك. قال الشاعرُ[٣]:

..... يكونُ نزولُ القَوْمِ فيهم كَلاَ ولاَ

والكاف الداخلة على (لا) في هذا الأسلوبِ اسمٌ بمعنى مِثْلٍ، وتُعْرَبُ حسْبَ موقعِها فهي في بَيْتِ ذي الرِّمَّةِ حالٌ منصوبةٌ وهي حالٌ ثانية والحال الأولى (كليلاً).

وهي خَبَرٌ منصوبٌ في البيتِ الأخيرِ للمضارعِ الناسخ (يكونُ).

أمَّا في بَيْتِ الكُمَيْتِ فهي ترتبطُ في المعنى ببيتٍ سابقٍ لهذا البيتِ، والعَوْدَةُ إلى ماسَبَقَ تحدِّدُ موقعَها الإعرابيَّ.

---

(١) ديوان ذي الرمة: ٣/١٥١٨ وانظر اللسان: لا. (٣) المصدر نفسه.

(٢) اللسان: لا.